مكة المكرمة تحتضن القمة الإسلامية الاستثنائية الثالثة بمشاركة كل الدول الأعضاء

دعوة المليك لأهل القبلة

الملك عبدالله والرئيس الإيراني السابق خاتمي في إحدى القمم الإسلامية

احتضنت مكة المكرمة للمرة الثانية بعد ٢٤ عاماً قمة دول منظمة المؤتمر الإسلامي في يومي ٥ و٦ من شهر ذي القعدة ١٤٢٦، بمشاركة ٥٧ دولة عضوة في المنظمة، وتأتي هذه القمة، وهي الثالثة الاستثنائية في تاريخ القمم الإسلامية، والحادية عشرة ضمن تسلسل عقدها، تلبية لدعوة أطلقها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - في موسم الحج الماضي، حين كان ولياً للعهد. وحفلت هذه القمة بالكثير من الملفات، ولاسيما ملف الإرهاب، وتصحيح النظرة تجاه الإسلام، الذي تعرض للتشويه على أيدي بعض أبنائه من مرتكبي أعمال العنف والإرهاب.
وحملت القمة دعوة جدية لتطوير الخطاب الإسلامي لمواجهة التغيرات التي طرأت على الساحة، ومقابلة التحديات المطروحة أمام العمل الإسلامي المشترك.

ناقشت قمة مكة المكرمة وثيقتين: إحداهما تتعلق بإعلان مكة المكرمة الذي صدر بالتوازي مع الخطة العشرية، وتضمن الإعلان جملة من المبادئ المتصلة بميثاق المنظمة، والعمل الإسلامي المشترك، في حين تتعلق الوثيقة الأخرى بوضع برنامج زمني مدته عشر سنوات لتطوير عمل المنظمة، وإدخال إصلاحات في هيكلها، والمنظمات التابعة لها، للتمكن من القيام بالمهام المنوطة بها، بوصفها الجهاز التنفيذي لقرارات القمة والمؤتمر الوزاري.

وطبقاً لميثاق المنظمة الذي أقرّ في المؤتمر الثالث لوزراء خارجية الدول الأعضاء في جدة سنة ١٣٩٢ (١٩٧٢م)، فان مؤتمر القمة يعقد دورياً كل ثلاث سنوات، أو عندما تقتضي الحاجة إلى ذلك حسبما يستجد من أوضاع، أو قضايا، تتطلب دراستها والتصدي لها جميع الدول.

وعقدت المنظمة منذ إنشائها في سنة ١٣٨٩ (١٩٦٩م)، حتى الآن عشر قمم، من بينها ثلاث قمم استثنائية، كان آخرها قمة مكة المكرمة، التي تلت قمة الدوحة الاستثنائية في سنة ١٤٢٣ (٢٠٠٣م)، التي بحثت حينها أزمة النظام العراقي، الذي أطيح به في حرب قادتها الولايات المتحدة في ذلك العام.

الملك فيصل.. لا لإحراق الأقصى

وكانت منظمة المؤتمر الإسلامي قد ظهرت إلى الوجود بعد قمة قادة دول العالم الإسلامي، التي عقدت في الرباط بالمغرب؛ تلبية للنداء الذي أطلقه الملك فيصل بن عبدالعزيز - رحمه الله - في أثر المحاولة الصهيونية لإحراق المسجد الأقصى المبارك.

وهذه الحادثة، التي استفزت العالم الإسلامي آنذاك، كانت الدافع الأساسي وراء إنشاء المنظمة، والالتفات إلى مبدأ تعزيز التضامن بين الدول الإسلامية، وتنسيق العمل الإسلامي المشترك، وبخاصة أن ميثاق المنظمة قد شدد في مادته الثانية على التنسيق من أجل المحافظة على الأماكن الإسلامية المقدسة وتحريرها.

وتوالى منذ ذاك الحين عقد مؤتمرات القمة، ولكنها لم تنتظم إلا بعد القمة الثالثة التي عقدت في مكة المكرمة في سنة ١٤٠١ (١٩٨١م)، وهي القمة التي حملت شعار (القدس الشريف).

وعلى مدى ٣٦ عاماً ازداد عدد الدول الأعضاء التي انضمت إلى المنظمة من ٣٠ عضواً في سنة ١٣٩٢ (١٩٧٢م) إلى ٧٥

الملك عبدالله في إحدى القمم العربية

دولة عضواً، وخصوصاً بعد دخول ست دول من آسيا الوسطى دفعة واحدة إلى عضوية المنظمة، في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي، التي كانت تمثل هذه الدول جزءاً منه. يذكر أن عدداً من الدول التي تعيش فيها أقليات مسلمة شاركت بصفة مراقب في قمة مكة المكرمة، وهي روسيا، وتايلاند، والبوسنة والهرسك، وإفريقية الوسطى، كما شاركت منظمات دولية، وإقليمية، من بينها مجلس التعاون لدول الخليج العربية، وجامعة الدول العربية، والأمم المتحدة، وغيرها.

ولي العهد يرأس وفد المملكة في افتتاح القمة

رأس وفد المملكة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

وقد حضر افتتاح القمة الإسلامية، بالإضافة إلى الوفد السعودي، كل من صاحب السمو الملكي الأمير عبد الرحمن ابن عبد العزيز - نائب وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - وصاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز - وزير الشؤون البلدية والقروية - وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبد العزيز - أمير منطقة مكة المكرمة - وصاحب السمو الملكي الأمير مقرن بن عبد العزيز - رئيس الاستخبارات العامة - وأصحاب السمو الأمراء، وأصحاب المعالي الوزراء، وكبار المسؤولين، إضافة إلى كبار المسؤولين من سفراء الدول الإسلامية، وكبار الشخصيات.

الملك عبدالله مع السلطان قابوس في إحدى القمم العربية

نهج رائد، وبرنامج العمل العشري

استهل صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل الجلسة التحضيرية، بكلمة رحب فيها بأصحاب السمو، والمعالي، وزراء الخارجية في بلدهم المملكة العربية السعودية، التي تحتضن القمة الاستثنائية الثالثة، وأبرز سموه أهمية القمة لكونها تعقد في مكة المكرمة.

وقال سموه: «استشعاراً لما تتعرض له الأمة الإسلامية من تحديات جسام، ومخاطر كبيرة، تستهدف مرتكزاتها الحضارية، وتنال من معتقداتها الدينية، ومقوماتها الثقافية، وتعمل على بث الفرقة والشقاق في ما بينها، فلقد رأى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، بالتشاور مع رئاسة القمة الإسلامية، دعوة إخوانه قادة الدول الإسلامية، لعقد مؤتمر قمة استثنائي في مهبط الوحي، ومهوى أفئدة المسلمين.. في مكة المكرمة؛ وذلك لوضع خطة عمل شاملة لمعالجة المعوقات، التي تحول دون تحقيق طموحات أمتنا، وترسيخ مفاهيم التسامح، وتعميق ثقافة الحوار بين الأمم والحضارات.

وتابع سموه قائلا: «وفي مبادرة تعدّ نهجاً رائداً وغير مسبوق في العمل الإسلامي المشترك رأى خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - أهمية وضرورة عقد منتدى لنخبة متميزة من علماء الأمة الإسلامية، ومفكريها، للنظر في حال الأمة الإسلامية، ووضع الرؤى والأفكار للقادة قبل اجتماعهم، واقتراح أفضل الحلول للتحديات التي تواجهها الأمة في مختلف الميادين.

وخاطب سموه وزراء الخارجية مقترحاً منهج عمل يرتكز على عدة أسس، فقال: لا شك أنكم تقدرون أن المسؤولية الملقاة على كاهلنا في هذا الاجتماع ثقيلة وجسيمة، والوقت المتاح لنا لإنجاز مهمتنا ضيق ومحدود، ومن هذا المنطلق، ولكوني أتطلع إلى تفهمكم، وحسن تقديركم وتعاونكم، ورغبة في تسهيل أسلوب عملنا في هذا اللقاء، فإنني أود أن أقترح عليكم منهج عمل يرتكز على الأسس الآتية:

أولاً: أذكركم أن القمة الإسلامية المنتظرة التي تشرئب إليها

أعناق المسلمين في كل مكان هي قمة استثنائية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، دعا إليها خادم الحرمين الشريفين، لبحث موضوع محدد يتعلق بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، ووضع برنامج عمل واضح لمواجهتها، وماعدا ذلك من موضوعات، وقضايا، فينبغي تركها للاجتماعات الدورية الاعتيادية المقبلة، بدلاً من أن ننشغل بها عن الطبيعة الاستثنائية لهذه القمة التاريخية.

ثانياً: نحن مدعوون في اجتماعنا التحضيري هذا إلى النظر بعين ثاقبة، ورؤية متعمقة في الوثائق التي بين أيدينا، وإعدادها بالشكل الذي يمكّن قادتنا من اتخاذ القرارات الضرورية، والكفيلة بالتصدّي للتحديات، التي تواجه الأمة في القرن الحادي والعشرين.

ثالثاً: يأتي في مقدمة هذه الوثائق مشروع بلاغ مكة المكرمة، الذي سيطرح على قادتنا؛ وذلك بغية إطلاعكم على هذه الوثيقة قبل عرضها على القمة من قبل خادم الحرمين الشريفين، ويتناول مشروع بلاغ مكة المكرمة رؤية عامة للواقع الذي تعيشه أمتنا، وتطلعاتها، وآمالها المشتركة لما يجب أن تكون عليه.. أمة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الشر، تنشر الفضيلة، وتقيم العدالة والمساواة، وترسخ مبادئ التسامح، والتعارف والإخاء بين الشعوب، وتحارب الظلم والعدوان والفساد.

رابعاً: يلي ذلك الوثيقة الخاصة ببرنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، وهذه الوثيقة مبنية أساساً على التوصيات والرؤى والأفكار التي توصل إليها العلماء والمفكرون، والملاحظات التي وردت عليها من الدول الأعضاء في المنظمة، والتي تمت مناقشتها في اجتماع السفراء التمهيدي لاجتماعنا هذا، وهي تتضمن الوسائل والسبل التي يمكن بها معالجة ما يعانيه الإسلام في هذه الأيام من هجمة شرسة من المتربصين به، سواء من أعدائه في الخارج، أو حتى من بعض أبنائه من أصحاب الأهداف الضالة، والأفكار المنحرفة، وتحقيق التضامن الإسلامي، والنهوض بالمسلمين، وحل مشكلاتهم، والتعاون بينهم في الميادين التي تسهم في تحقيق تواصلهم ورفعتهم، وتصحيح صورة الإسلام في العالم، والدفاع عن مبادئه بالحوار والحكمة والموعظة الحسنة، وكذلك إعادة هيكلة مجمع الفقه الإسلامي، ليصبح مرجعية فقهية عليا لشعوب أمتنا تنير لها الطريق، وتزيل عن واقعنا حالة التذبذب الناجمة عن تعددية المرجعية، واختلاف الفتاوى..

بالإضافة إلى إحداث التطوير اللازم في هيكلية منظمة المؤتمر الإسلامي، وأسلوب أدائها بالشكل الذي يمكّنها من القيام بدورها المنشود.

وأضاف سموه: «أن المملكة العربية السعودية؛ استجابة لما يوليه عليها واجبها الديني والتاريخي، أرادت أن تكون هذه القمة الاستثنائية نقطة تحول في تاريخ أمتنا، ومنعطفاً مهماً في مسيرتها، يصبح معه مستقبلنا - بإذن الله تعالى - خيراً من حاضرنا، وليحل التضامن الإسلامي الحقيقي محلّ التضامن الشكلي، ولتكتسب قراراتنا ومواقفنا درجة من الجدية والمصداقية، التي تتطلع إليها شعوبنا، وتتطلبها التحديات الماثلة أمامنا.

افتتاح القمة:

خادم الحرمين الشريفين: التكفير لا ينبت في أرض خصبة بالتسامح

وقد افتتح خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - قمة مكة المكرمة، بحضور وفود من دول المنظمة الـ ٥٧، بقاعة المؤتمرات بقصر الصفا بمكة المكرمة، وخاطب القادة والزعماء المشاركين، والأمة الإسلامية في هذه المناسبة التاريخية، مؤكداً أن الوحدة الإسلامية لن يحققها سفك الدماء، كما يزعم المارقون بضلالهم، فالغلو والتطرف والتكفير لا يمكن لها أن تنبت في أرض خصبة بروح التسامح، ونشر الاعتدال والوسطية، مشيراً إلى تطلعاته إلى أمة إسلامية موحدة، وحكم يقضي على الظلم والقهر وتنمية مسلمة شاملة تهدف إلى القضاء على العوز والفقر، وانتشار الوسطية التي تجسد سماحة الإسلام.

وفيما يلي نص كلمته - رعاه الله - في افتتاح القمة:

«بسم الله والحمد لله القائل في محكم كتابه: «كنتم خير أمة أخرجت للناس»، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد نبي الرحمة للعالمين.

إخواني قادة الأمة الإسلامية، أيها الإخوة الحضور: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يسرني أن أرحب بكم باسم إخوانكم شعب المملكة العربية السعودية، وباسمي في منزل الوحي، ومهد الرسالة، متمنياً لكم التوفيق والسداد.

إن استجابتكم الكريمة لدعوة أطلقها أخ لكم في هذه البقعة الطاهرة في العام الماضي، لدليل على الرغبة الملحة في أعماق

الأمة نحو التغيير للأفضل، ولنسع جميعاً إلى أن تكون هذه القمة بشرى لمستقبل زاهر، بإذن الله.

أيها الإخوة الكرام: من هذا المكان من أرض النبوة انطلقت دعوة الإسلام معلنة وحدانية الخالق، ومنهية عبودية الإنسان للإنسان، رافعة مبادئ المساواة والحق والعدل، فتمكنت هذه الدعوة من الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها، بتأثير القيم الصالحة، والقدوة الحسنة، وليس بحد السيف، كما يدعي من يتجاهل الحقيقة، أو لم يدركها، ولنتذكر كيف كانت حضارتنا الإسلامية منارة الإشعاع، فأخذت منها الحضارات الأخرى روح التسامح والعدل، وفتحت الطريق للبشرية، بما أنجزته من فقه وفكر، وعلم وأدب، كانت فيصل التنوير في عهود الظلمات.

أيها الإخوة الأعزاء: إنه لمن المؤلم أن نرى كيف تداعت حضارتنا المجيدة، من مراقي العز إلى سفوح الوهن، وكيف عاث فكر العقول المجرمة، مفسداً في الأرض، وكيف تحولت أمتنا الواحدة، بشموخها وكبريائها، إلى كيانات مستضعفة، إلا أن المؤمن القوي بربه، لا يقنط من رحمته، فمن ظلام الليل يشع نور الفجر، ومن قسوة الألم يشرق الخلاص، فليكن إيماننا بالله القادر المقتدر دافعاً قوياً، لنثق بأمتنا شعوباً وقادة، ولنودع عهد الفرقة والشتات والضعف، ونستقبل عهداً من الوحدة والقوة والعزة، بالتوكل على الله، ثم الصبر والعمل.

أيها الإخوة الكرام: إن الوحدة الإسلامية لن يحققها سفك الدماء، كما يزعم المارقون بضلالهم، فالغلو والتطرف والتكفير لا يمكن لها أن تنبت في أرض خصبة بروح التسامح، ونشر الاعتدال والوسطية، وهنا يأتي دور مجمع الفقه الإسلامي في تشكيله الجديد؛ ليتصدى لدوره التاريخي، ومسؤوليته في مقاومة الفكر المتطرف، بكل أشكاله وأطيافه، كما أن منهجية التدرج هي طريق النجاح الذي يبدأ بالتشاور في كل شؤون حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، للوصول إلى مرحلة التضامن، بإذن الله، وصولاً إلى الوحدة الحقيقية الفاعلة المتمثلة في مؤسسات تعيد للأمة مكانها في معادلات القوة.

أيها الإخوة الأعزاء: إن طبيعة الإنسان المسلم تكمن في إيمانه، ثم علمه، ومبادئه، وأخلاقه، التي قال عنها نبي الرحمة: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ولعلكم تتفقون معي على أن الارتقاء بمناهج التعليم، وتطويرها مطلب أساسي، لبناء الشخصية المسلمة المتسامحة، للوصول إلى مجتمع يرفض الانغلاق والعزلة، واستعداء الآخر، متفاعلاً مع الإنسانية كلها، ليأخذ ما ينفعه، ويطرح كل فاسد.

أيها الإخوة الأعزاء: إنني أتطلع إلى أمة إسلامية موحدة، وحكم يقضي على الظلم والقهر، وتنمية مسلمة شاملة تهدف إلى القضاء على العوز والفقر، كما أتطلع إلى انتشار الوسطية التي تجسد سماحة الإسلام، وأتطلع إلى مخترعين وصناعيين مسلمين، وتقنية مسلمة متقدمة وإلى شباب مسلم، يعمل لدنياه كما يعمل لآخرته، من دون إفراط أو تفريط.

إن النهضة يصنعها أمل، يتحول إلى فكرة، ثم إلى هدف، وأمتنا قادرة على تحقيق أهدافها، مستعينة بالله وحده، مطمئنة إلى قوله الكريم ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ووعده جل جلاله ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الرئيس الماليزي: لا بد من تحقيق الوحدة والائتحاد

من جانبه قال عبد الله بدوي – رئيس وزراء ماليزيا، رئيس الدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامية: لقد اخترنا أن نجتمع هنا في هذا المؤتمر لكي نحقق الوحدة والاتحاد الذي نصبو إليه، فالوحدة قوة، وإننا نأمل أن يبارك الله جهودنا لكي يتوحد العالم الإسلامي في هذه المرحلة المهمة من تاريخنا المجيد، واصفاً المرحلة الحالية التي يعيشها العالم الإسلامي بأنها خطيرة، مشيراً إلى انقسام المسلمين، ووجود الكثير من النزاعات والانقسامات والعنف.

وتطرق رئيس وزراء ماليزيا إلى معاناة آلاف المسلمين في فلسطين وأفغانستان والعراق والسودان من خوف وتهديد وعنف، وذكر أن الكثيرين من أبناء الأمة الإسلامية يعيشون في تخلف وفقر، مشيراً إلى أن الأوضاع الاقتصادية التي يعاني منها عدد من البلدان الإسلامية هي مجرد عناصر من وضع مأساوي، مشدداً على ضرورة العمل من أجل وضع أفضل الوسائل للقضاء على الفقر، وتنمية الجذور التاريخية للأمة الإسلامية، والسعي من أجل التنمية والتطور بوصفها أموراً أساسية في الإسلام.

أوغلي: حان الوقت لمعالجة مشكلات الأمة

وقال البروفسور أكمل الدين إحسان أوغلي ـ الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي ـ: «إن عالمنا الإسلامي يمر في أخطر العهود في تاريخه، ويواجه مشكلات، وصعوبات كالداء،

الملك عبدالله ومحادثات مع الرئيس المصري حسني مبارك- (واس)

يطال تأثيرها حياة مئات الملايين من الناس عبر العالم، بما لم يعد في وسعنا إهمالها، ولا أن ننتظر حلاً لها من الآخرين»، مشيراً إلى أن لدى العالم الإسلامي من الموارد ما يكفي للتغلب على هذه المصاعب.

وقال أوغلي: «لم نعد نملك ترف لوم الآخرين للمشكلات التي نصنعها، فقد حان الوقت لمعالجة مشكلاتنا الوطنية، والجهوية بشجاعة وإخلاص وانفتاح؛ وهذا ما تتوقعه منا جماهير المسلمين؛ لذلك علينا أن نخلق ثقافة تضامن بين الشعوب الإسلامية، عن طريق حشد مواردنا وطاقاتنا السياسية والاقتصادية والثقافية».

وبين أوغلي «أن النقص في اعتماد الوسطية هو أحد العوامل الرئيسة للاضطراب والفوضى في العالم الحديث، وأسبابه في العالم الإسلامي، مردها إلى مجموعة معقدة من الظروف، كالفقر، والأمية، والأوبئة، والفساد، وعدم تساوي الفرص، أو توزيع الثروة»، مشيراً إلى «أن ما نريده الآن، هو برنامج عمل للتحديث، لإعادة إنشاء مبدأ الوسطية».

وأوضح أوغلي «أن برنامج العمل العشري، الذي انبثق عن نتائج ندوة مكة المكرمة لعلماء الأمة ومفكريها، وما وقع عليه من تصويبات، يشكل خطة عمل واضحة المعالم، تؤسس للعمل الإسلامي المشترك، وتحدد أولويات ووسائل تطبيقة خلال العام القادم».

الرئيس الإيراني: ندعم كل ما جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين

وأكد محمود أحمدي نجاد – رئيس الجمهورية الإيرانية الإسلامية – دعمه لكل ما جاء في كلمة خادم الحرمين الشريفين، التي دعا فيها إلى نبذ الغلو والتطرف، ومحاربة الإرهاب بجميع أشكاله.

العاهل الأردني: الاختلاف على شروط الإفتاء سبب الفرقة

من ناحية ثانية، أشار العاهل الأردني عبد الله الثاني في كلمته التي ألقاها نيابة عنه الأمير علي بن الحسين – رئيس الوفد الأردني المشارك في القمة – إلى أهمية الموضوعات وحيويتها،

والمحاور المدرجة على جدول أعمال القمة، ومشروع برنامج العمل العشري لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وقال: إن بلاده تؤكد من جديد أن الموضوع «الذي ينبغي أن يتقدم على كل هذه الموضوعات هو الاتفاق فيما بيننا كمسلمين على من هو المسلم، وعلى شروط الإفتاء، لأن عدم الاتفاق على هاتين المسألتين، هو سبب الفرقة والاختلاف، وتبادل تهم التكفير والاقتتال بين أبناء الدين الواحد».

المليك يدشن المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الإسلامي:

وضع رؤساء ٥٧ دولة، بالإضافة إلى ممثلي وفود الدول الإسلامية المشاركين في القمة، بصمات أياديهم على لوحات طينية، وضعت إلى جانب كل منهم في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر، مشاركة منهم في تدشين المقر الدائم الجديد لمنظمة المؤتمر الإسلامي، الذي سيقام في منطقة قصر خزام بمدينة جدة، وقد أزاح لوحته التذكارية خادم الحرمين الشريفين، بعد انطلاقة القمة، وشاركه في إزاحة الستار كل من رئيس الوزراء الماليزي عبدالله بدوي – رئيس الدورة العاشرة لمؤتمر القمة الإسلامي – والرئيس السنغالي عبدالله واد – رئيس الدورة القادمة المزمع عقدها في داكار.

بلاغ مكة:

اختتم أصحاب الجلالة والفخامة والسمو، قادة الدول الإسلامية، أعمال الدورة الثالثة، لمؤتمر القمة الاستثنائية، عقب انتهاء الجلسة الثالثة المغلقة، وبدأت وقائع الجلسة الختامية العلنية، بكلمة لمعالي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، حيث تلا معالي الأمين العام للمنظمة بلاغ مكة المكرمة قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحن – ملوك ورؤساء وأمراء الدول والحكومات الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، إذ نجتمع في الدورة الاستثنائية الثالثة للمؤتمر الإسلامي المنعقد في مكة المكرمة بين ٥ و٦ من ذي القعدة سنة ١٤٢٦ (الموافق ٧ و٨ كانون الأول ديسمبر عام ٢٠٠٥م) نرفع آيات الحمد لله عز وجل، إذ منّ علينا بأن نجتمع في رحاب هذا البلد الحرام على ثرى مهد الرسالة الإسلامية، قبلة المسلمين التي انطلق منها نور الإسلام، ليهدي البشرية إلى سبل الخير والسلام، ويرسي دعائم حضارة إسلامية، شكلت رافداً مهماً من روافد الحضارة الإنسانية.

وإذا ما كان ظهور الرسالة الإسلامية بمضامينها السامية استهدف إخراج العالم من غياهب الجهل والظلام والاستبداد إلى نور الحق والعدالة وطريق العلم والمعرفة، ومبادئ التعايش السلمي، فإننا نجد أنفسنا اليوم في عهد اختلفت فيه المفاهيم، واختلطت القيم، وعم الجهل، واستشرت الأمراض والأوبئة، وتفشى الظلم، وتدهورت فيه بيئة الإنسان، وأضحينا أحوج ما نكون فيه إلى منظور جديد للخروج بالأمة – كما شاءت إرادة الله – لكي تكون مصدراً للإشراق، والعلم والمعرفة والأخلاق، ومناراً للإنسانية.

إن الحفاظ على هويتنا الإسلامية، وقيمنا الأساسية، ومصالح الأمة العليا، لن يأتي إلا من خلال انتماء المسلمين الصادق إلى الإسلام الحقيقي، والتزامهم الحق مبادئه وقيمه الأصيلة، منهاجاً لحياتهم، لكي تنهض الأمة، وتمارس دورها الفعال في خدمة البشرية، والحضارة الإنسانية.

إننا نستشعر ضمير الأمة الذي عبر عنه علماؤها، ومفكروها – جزاهم الله عنا خير الجزاء – مدركين التحديات، على الصعد السياسية والتنموية والاجتماعية، والثقافية والعلمية كافة، وما تتعرض له الأمة من تهديدات داخلية وخارجية، أسهمت في تعميق المأزق الحالي الذي تعيشه، وتنعكس على مستقبلها، بل ومستقبل البشرية، والحضارة الإنسانية. ولابد من التعامل مع هذه التحديات من خلال رؤية إستراتيجية، تخطط لمستقبل الأمة، وتواكب المتغيرات الدولية وتطوراتها، من أجل بلورة رؤية، تستشرف آفاق المستقبل، بما يمكن العالم الإسلامي من التعامل مع تحديات القرن الحادي والعشرين، بالاستناد إلى إرادة جماعية، وعمل إسلامي مشترك.

وفي هذا الإطار، فإنه ينبغي علينا الوقوف وقفة صادقة حازمة مع النفس، حول إصلاح شأن الأمة، الذي يبدأ من إصلاح الذات، بالاتفاق على كلمة سواء، ركيزتها كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)، والتصدي بكل حزم لدعاة الفتنة والانحراف والضلالة، التي تستهدف تحريف مبادئ الإسلام السامية، الداعية إلى المحبة، والسلام والوئام، والحضارة، إلى أفكار منحرفة تقوم على الجهل والانغلاق والكراهية وسفك الدماء.

إن أمتنا الإسلامية مطالبة اليوم بالاجتماع على الخير مصداقاً لقوله عز وجل ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾وهذا يستوجب من علمائنا وفقهائنا توحيد كلمتهم في فضح انحراف هذه الفئة الضالة، وبطلان مزاعمها، واتخاذ موقف حازم ضدها.

وإذ نؤكد بهذا الصدد أن الإرهاب ظاهرة عالمية، لا تقتصر على أي دين، أو جنس، أو لون، أو بلد، وعدم وجود أي مبرر أو مسوغ للإرهاب، بجميع أشكاله وأنواعه، ومصادره، فإننا عازمون – بحول الله تعالى – على تطوير أنظمتنا، وقوانيننا الوطنية لتجريم كل ممارسات الإرهاب، وتمويلها، والتحريض عليها، مطالبين في الوقت نفسه، بمضاعفة الجهود الدولية وتنسيقها لمواجهة الإرهاب، بما في ذلك إنشاء المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، الذي أقره مؤتمر الرياض لمكافحة الإرهاب.

إن أولوية الإصلاح والتطوير تشكل قناعة تجمع عليها الأمة، حكومات، وشعوباً، في إطار نابع من داخل مجتمعاتنا الإسلامية، ومتوائم مع مكتسبات الحضارة الإنسانية، ومستلهم لمبادئ الشورى، والعدل، والمساواة، في تحقيق الحكم الرشيد، وتوسيع المشاركة السياسية، وترسيخ سيادة القانون، وصيانة حقوق الإنسان، وبسط العدالة الاجتماعية، والشفافية، والمساءلة، ومحاربة الفساد، وبناء مؤسسات المجتمع.

والحضارة الإسلامية هي جزء لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية، تقوم على قيم الحوار، والوسطية، والعدل، والبر، والتسامح، بوصفها قيماً إنسانية راقية، في مقابل التعصب، والانغلاق، والاستبداد، والإقصاء؛ لذلك فإنه من المهم تعميق هذه القيم السامية في خطابنا الإسلامي داخل مجتمعاتنا وخارجها.

وإذ نؤكد نبذنا للتطرف، والغلو، والعنف، فإننا نبدي استياءنا، وقلقنا، من تنامي ظاهرة كراهية، الإسلام ومعاداته في العالم، بوصفها شكلاً من أشكال العنصرية، والتمييز، ونؤكد أيضاً العزم على العمل الجاد للتصدي لها، بالوسائل المتاحة كافة.

ولما يشكله التعاون الاقتصادي، والتكافل الاجتماعي بين الدول الإسلامية من أهمية في تعزيز تضامنها، وتعظيم استفادتها من مزايا العولمة، وتفادي سلبياتها، فإننا نعدّ أهداف محو الأمية، واستئصال الأمراض والأوبئة، ومكافحة الفقر في الدول الإسلامية، أهدافاً إستراتيجية ملحة، تتطلب حشد الموارد اللازمة كافة لتحقيقها.

إن تحقيق الأهداف المتوخاة، لن يتأتى إلا من خلال التزام الجدية، والمصداقية في العمل الإسلامي، والانطلاق من رؤية جديدة للعالم الإسلامي، تتعامل مع التحديات الدولية، ومتغيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بما يحفظ قيم الأمة ومصالحها، فقد تم اعتماد خطة العمل العشرية وإقرارها؛ لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، وإننا لندعو ربنا أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وفي مسعانا توفيقاً، وفي حياتنا خيراً.

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.